الثـّمَارُ النـّديّة في تـَنـَاسُب صِفَات الأصْوَاتِ ومَعَاني الكـَلِمَاتِ القُرْآنيّةِ

م. علي حسين خضير -جامعة الأنبار -كلية الآداب

المستخلص

إنّ الدرس الصوتي لا يتوقف عند معرفة مخارج الأصوات ، بل لا بدّ من دراسة ما تحدثه مناسبة الصفات الصوتية من آثار تتعلق بالمعاني ؛ لذا فإن المناسبة القرآنية تُعدّ من المواضيع الدقيقة التي من طريقها تبرّز جوانب متعددة من أوجه البلاغة القرآنية اللطيفة ، وقد جاءت الدراسة فيه مقسمة على مبحثين تسبقهما مقدمة وتليهما خاتمة ، تكلمت في المبحث الأول على تعريف علم المناسبة لغة واصطلاحاً ، مع ذكر موضوعه وثماره وأنواعه ، والفرق بين المناسبة ونظرية النظام ، وآراء العلماء في علم المناسبة ، والأثر النفسي المترتب على المناسبة القرآنية . أما المبحث الثاني : فقد ضم الجانب التطبيقي الذي لم يخلو من تأملات قام بها الباحث على أمل أن يوفّق في لـَمّ شمل هذا الموضوع الدقيق ، ثم أنهيت الدراسة بخاتمة أوجزت فيها أبرز النتائج التي تم التوصل إليها .

Abstract

Phonology is not only concerned with sound production. The context of such production is quite relevant to understand the semantic purport of these sounds. Thus contextual occasion in Quranic verses is crucial to achieve the desired effect in Quranic rhetoric. This paper falls into two sections: The first introduce the field of contextual occasions and the second applies the rules of this field on selected Quranic verses. The paper presents its main findings of this application in the conclusion section.

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل القرآن بأفصح لسان فتحدى به أرباب البيان الذين ملكوا الفصاحة وأساليب الكلام ، فأذهلهم نظمه حتى قال قائلهم : إنّ له حلاوة وإن عليه طلاوة ، والصلاة والسلام على سيد ولد عدنان محمد وعلى آله وأصحابه أهل العلم والبيان ، إنّ القران الكريم هو مصباح الظلام ومنهل البيان ، هو كلام الله تعالى والله تعالى حكيم وبالاتفاق أنّ فعل الحكيم كله حكمة ، الذي أحكم الكتاب الذي أنزله للعالمين بشيراً ونذيراً ﴿ الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ هود/١ ، لذا نرى العلماء توافدوا على البحث عن أسراره واستخراج دُرره ، فقد ذهب كل باحث بما يملك من أدوات بحثه وفتح الله الذي لا يمنعه عن أحد للكشف عن أسراره المكنونة فهو القائل جلّ جلاله :﴿ كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا

كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحظُوراً ﴾ الإسراء /٢٠ ، لقد شغل هذا الكتاب العالم بأسره منذ أن نزل إلى يوم يبعثون ، فهو الجليس الذي لا يُملّ والعظيم الذي لا تنفد عجائبه . يُعدّ موضع المناسبة أو التناسب في البيان القرآني من المواضيع الدقيقة التي من طريقها تبرّز جوانب متعددة من أوجه البلاغة القرآنية اللطيفة ، وهذه الدراسة التي قمت بها دراسة متواضعة بالقدر الذي يخصُّ الباحث ، ومباركة بما يخصُّ كتاب الله تعالى ، على أنها لا تخلو من تأملات قام بها الباحث على أمل أن يوفّق في لَمِّ شمل هذا الموضوع الدقيق .

إنّ القران الكريم هو نص مقدس قد تألف من ألفاظ دقيقة امتازت بالدقة المعجزة التي وصلت إلى حدٍ يكون اللفظ فيه يدل على نفس الصوت ، والصوت نفسه يدل على اللفظ ، فإذا شئت استخرجت الصوت من ذلك اللفظ واستخرجتَ اللفظ من ذلك الصوت . وهذا باب عظيم في العربية ، وقد عزم الباحث أن يجيل نظره في كتاب الله الخالد مستنبطاً بعضاً من تلك الألفاظ ومحاولاً إبراز أوجه المناسبة على أن تكون هذه الدراسة تتسم بالصيغة التطبيقية والنماذج الحيّة . ونظراً إلى دقة الموضوع فقد اتخذت منهجاً يمكنني من إظهار الجوانب والأبعاد التي تتعلق بالموضوع مستعيناً بعد الله بكتب المتقدمين وبعض من كتابات المتأخرين لإخراجه متسلسلاً مستوياً على سوقه ، وربما قادتني علائق الكلام إلى أمور تقتضي بسطاً وتفصيلاً ، لذا جاءت الدراسة مقسّمة على مبحثين خصصت الأول منهما : للتعريف بعلم المناسبة لغة واصطلاحاً ، وما موضوعه ، وأول من وضعه ، والمسارات التي يعرف بها هذا العلم ، وأقوال العلماء فيه، مؤيداً ومنكراً ، ثماره وأنواعه ، والفرق بين المناسبة ونظرية النظام ، وخلاصة نظرية النظام ، والأثر النفسي المترتب على المناسبة القرآنية. أما المبحث الثاني : فقد تناولت فيه الجانب التطبيقي للبحث (الثّمار النّدية في تناسب صفات الأصوات ومعاني الكلمات القرآنية) ، تسبقهما مقدمة ، وتليهما خاتمة ذكرت فيها ابرز النتائج التي يحسبها الباحث على جانب من الأهمية ، مع ثبت المراجع والمصادر ، وقد كانت المصادر التي استعملها الباحث متنوعة ليستقيم البحث على أركانه ، ولا ادّعي لبحثي هذا الكمال ، فربّما اتمني الناظر بعجل بأني قد أطلت وأسهبت في بعض مواضع الكلام ، فليعلم أنه قد اضطرني إلى هذا شكل الموضوع ودقته ، وكذلك لم أرد أن أختصر الموضوع وأختزله ، لأنّ الاختصار في بعض الأحيان يلفّ الكلامَ لفّاً يُزهقُ روحه ويذهب برونقه ويتركه مُختلاً ركيكاً أسير العجمة العلمية ، وفي المقابل لا يغيب عن مُخَيِّلتي أنّ البسط في بعض الأحيان يزيد الكلام عِيّاً وضِيقاً ومع هذا أو ذاك لا أبرّئ نفسي من الزلل والعثار ، وفي ذلك تمام المعذرة ، وحسبي أني بذلت فيه جهداً ليس بالقليل مبتغياً في ذلك وجه الله تعالى وخدمة كتابه العزيز ، فإن وفقت في ذلك فهذا من توفيق لله تعالى ، وإن كانت الأخرى فحسبي أني بشر ، واللهَ أسألُ المغفرة والعفو ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

- المبحث الأول
علم المناسبة

حدُّ المناسبة لغة واصطلاحاً :

المناسبة عند اللغويين : هي المقارنة والمشاكلة ، وهي أصل من أصول العربية ، وقال أهل اللغة : " قد تحدث أشياء توجب تقديم غير الأصل على الأصل للتشاكل ، وهو ما يوجب الموافقة " [١]

أما عند البلغاء : فهي التناسب في ترتيب المعاني المتآلفة التي لا تتنافر وتكون متلائمة [٢]

وتكون عند الأصوليين : الوصف المقارب للحكم لأنه إذا حصلت مقاربته له ظن عند وجود الحكم (وهذا في العلة في باب القياس) [٣]
أما في الاصطلاح : فهو العلم الذي تعرف به وجوه ارتباط أجزاء القرآن بعضها ببعض ، فتكون الآيات بعضها آخذ بأعناق بعض على جهة السبك المحكم [٤]
أي : إن كل جزء من القرآن مع ما قارنه ، الحرف مع الحرف ، والكلمة مع الكلمة ، والآية مع الآية ، والسورة مع السورة ، والقصة مع القصة ، وقيل : هي أمر معقول إذا عرض على العقول تلقته بالقبول [٥] .
وعرّفه الشنقيطي بأنه : "مراعاة النظير ، ويسمى التناسب والائتلاف " وضابطه " أنه جمع أمر وما يناسبه لا بالتضاد " [٦] ، وقال البقاعي هو: "علم تعرف منه علل الترتيب " [٧]

موضوعه :

" أجزاء الشيء المطلوب علمُ مناسبته من حيث الترتيب " [٨] سواء أكان ذلك في أصوات اللفظة الواحدة ، أم بين اللفظة واللفظة أم الآية والآية ... ولابدّ أن يقوم على أساس متين ويستند إلى ركن ركين ، ولا يجوز أن يكون خبط عشواء ولا ينبغي التكلف فيه من غير دليل يستند إليه أو أمر يعوّل عليه ؛ قال عز الدين بن عبد السلام : " إن من محاسن الكلام أن يرتبط بعضه ببعض ، ويتشبث بعضه ببعض ، لئلا يكون مقطعاً على أن يكون الكلام قد قيل في أمر متحدٍ " [٩]

واضع هذا العلم ومؤسسه :

إن أبا بكر النيسابوري هو أول من تكلم بهذا العلم - علم المناسبات - إذ ورد أنه كان يتهكم على بعض علماء بغداد آنذاك ؛ وذلك بسبب جهلهم بهذا العلم الجليل ، فإذا قُرئت عليه آية أو سورة من القران كان يسأل ويقول : لِمَ وضعت هذه الآية إلى هذه ؟ وما الحكمة في جعل هذه السورة إلى جنب هذه السورة[١٠].

المسار الذي يعرف به هذا العلم :

١- قال بعضهم : إن الإجادة في هذا العلم متوقفة على العلم والمعرفة بمقصود السورة أو الجزء المطلوب علم المناسبة ، ويفيد ذلك المعرفة والعلم بالمقصود من جميع جملها [١١] ، وقال قسم آخر لمعرفة المناسبة في جميع القران هو أنك : " تنظر عند اجترار الكلام في المقدمات إلى مايتتبعه من استشراف نفس السامع إلى الأحكام واللوازم التابعة له التي تقتضي البلاغة شفاء العليل بدفع عناء الاستشراف إلى الوقف عليها ؛ فهذا هو الأمر الكلي المهيمن على حكم الربط بين أجزاء القرآن وإذا فعلته تبين لك- إن شاء الله- وجه النظم مفصلاً بين كل آية وآية كل سورة " [١٢] .
٢- المزاوجة بين البشارة والنذارة ، والترغيب والترهيب ، والوعد والوعيد ، والحكمة في ذلك ثابتة وجليّة فضلاً عن المناسبة التي تلوح لكل مَنْ تأمل بشكل صحيح ،ولا بدّ له من إحكام النظر في السورة كلها بإحصاء الأجزاء وضبط المقاصد على الوجه الذي يصبح مساعداً على السير في تلك التفاصيل [١٣] .

٣. جاء في البرهان للزركشي : " وعادة القران العظيم إذا ذكر أحكاما ذكر بعدها وعداً ووعيداً ؛ ليكون ذلك باعثاً على العمل بما سبق ، ثم يذكر آيات التوحيد والتنزيه ؛ ليُعلم عظم الآمر والناهي ، وتأمل سورة البقرة والنساء والمائدة وغيرها تجده كذلك " [١٤]

٤- من الأساليب التي اعتادها القران في أسلوبه أنه إذا ذكر الكتاب الذي يضم عمل العبد ؛ حيث يعرض يوم القيامة جاء مباشرة بذكر الكتاب الذي يشمل الأحكام الدينية التي تنشأ عنها المحاسبة عملاً وتركاً ، كما قال في سورة الكهف :﴿ وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ...﴾ الكهف /٤٩ . وقال : ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ...﴾ الكهف/ ٤١ . [١٥]

أقوال العلماء في علم المناسبة :

إن علم المناسبات أو التناسب من العلوم الرفيعة التي عُني بها المفسرون القدماء والمُحْدَثون عناية كبيرة ، على الرغم من التفاوت في درجة الأهمية ، إذ إن هذا العلم متعلق بكتاب الله الخالد الذي يستمد منه المسلمون كل ما يخصهم في إصلاح حياتهم الدنيوية والأخروية ، فمن طريق هذا العلم قد وقفوا على كثير من وجوه الإعجاز ، التي أدت بهم إلى فهم معانيه الدقيقة وأزالت اللبس ، به عُرفت بعض المقاصد وُرجحت كثير من الآراء على بعضها ، على الرغم من اختلاف درجاتهم في مدى الاهتمام بهذا العلم والإبحار فيه ، ونتفق جميعاً- بلا شك - أن هذا العلم يحتاج إلى التأمل العميق والتفكير السديد فضلاً عن أدوات الباحث التي تنقسم -بحسب ما أرى- على قسمين : أحدهما يتعلق بالعلوم المادية (العلوم النقلية ، وعلوم الآلة) والآخر يتعلق بالمسائل الروحية العقائدية (التقوى بكل ما تحمله من علائق) ، فليعلم أن هذا العلم يقول به كل منصف للحقيقة ويُقرُّ به ؛ لأنه أمر بالغ الروعة ، وثماره يانعة ، غير أنها غير دانية للجميع لحكمة الله يعلمها ، ولا عجب في ذلك لأنه علم تعلق بكلام الله - عزّ وجلّ - الذي ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ ﴾ الزمر/٢٣. وقد أعرض كثير من المفسرين عن هذا العلم- كما سنرى في قابل البحث- وذلك لدقته وصعوبة الخوض فيه ، وسأذكر آراء العلماء القدماء والمُحْدَثين فيه مع بعض الردود التي يقتضيها المقام ، وإليكها مفصلة :

أولاً : القائلون به من القدماء :

ذهب الإمام الرازي إلى أنّ هذا العلم عظيم إذ قال : "علم المناسبات علم عظيم أودعت فيه أكثر لطائف القرآن وروائعه ، وهو أمر معقول إذا عرض على العقول تلقته بالقبول "وقال أيضاً : إن " أكثر لطائف القران مودَعة في الترتيبات والروابط " [١٦] وقد جعل الرازي تفسيره - مفاتيح الغيب - ميداناً رحباً لتطبيق هذا العلم الجليل ، أما السيوطي فقال فيه إنّ : "علم المناسبة علم شريف قلّ اعتناء المفسرين به لدقته " [١٧] وقد وصفه الزركشي بأنه : " تحرز به العقول ، ويعرف به قدر القائل فيما يقول " [١٨] وقد صنّف فيه كتاباً أسماه :(البرهان في علوم القران) وجعل المناسبة الباب الثاني منه . وقال أبو بكر بن العربي القاضي المعروف عن مكانة هذا العلم وأهميته : " وارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتى يكون كالكلمة الواحدة متسعة المعاني ، منظمة المباني " وقال في موضع آخر : "علم عظيم لم يتعرض له إلا عالم واحد عمل فيه سورة

البقرة ، ثم فتح الله - عز وجل- لنا فيه ، فلما لم نجد له حَمَلَةً ورأينا الخلق بأوصاف البطلة ختمنا عليه ، وجعلناه بيننا وبين الله ورددناه إليه " [١٩]
أما البقاعي : إبراهيم بن عمر : فهو أشهر مَنْ صَنّف في هذا العلم مصنفاً أصبح من المراجع التي يهرع إليها كل مَنْ أراد معرفة مناسبة تتعلق بكتاب الله الخالد ، وقد أسمى كتابه :(نظم الدرر في تناسب الآيات والسور) وجعل نسبة هذا العلم من التفسير نسبة البيان من النحو [٢٠].

أما القائلون به من المُحْدَثين : فقد ضمّنوا كتبهم هذا الموضوعات ولم يصنفوا التصنيفات الخاصة فقد ضمّن سيد قطب - رحمه الله- في تفسيره (في ظلال القران) هذا العلم الجليل إذ كان يتكلم على فحوى السورة بشكل عام ، ثم يحاول الربط بين مقاطع السورة في ضوء ما ذكره من موضوعها العام [٢١] . وقال صاحب تفسير المنار : محمد رشيد رضا "وقد خطر لي وجه ، وهو الذي يطّرد في أسلوب القران الخاص ، في مزج مقاطع القران بعضها ببعض ، من عقائد ،وحكم ، ومواعظ ، وأحكام تعبدية ومدنية ، وغيرها ، وهو نفي السآمه عن القارئ والسامع من طول النوع الواحد منها ، وتجديد نشاطها وفهمها واعتبارهما في الصلاة وغيرها " [٢٢].
وقد ذهب العلّامة محمد الطاهر بن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير إلى رصد الآيات التي أغفلها مَنْ سبقه من الجهابذة المفسرين وتفرد بكشف أوجه التناسب فيها ، ففي تفسيره لقوله تعالى :﴿ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ﴾ المطففين/١٨، إلى قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ ﴾ المطففين / ٢٩. فتجده يقول بكل ثقة : "وقد اتضح ،بما قررناه ،تناسب نظم هذه الآيات مزيد اتضاح ، وذلك مما أغفل المفسرون العناية بتوضيحه" [٢٣]. ويُعدّ الشيخ محمد الطاهر من الذين اتّبَعوا الوسطية في هذا العلم فلم يتكلف للمناسبة وإنما كان يتوصل إليها بإمكاناته اللغوية المتوافرة التي أهّلته لاستخراجها من قاعها المكنون ، فإنه يعيب على بعض المفسرين تكلفهم في القول بالتناسب إذا لم تكن هناك قرينة لغوية سافرة ، أو اتساق معنويّ لا يمكن تجاهله أو الإعراض عنه ، وإنّ الذي أسهم في بناء هذا الفكر الرصين عند ابن عاشور هو الاطلاع الواسع في الكتب السابقة على اختلاف أنواعها من علماء هذه الأمة التي خصّها الله بنوع من العلوم دون غيرها من الأمم آلا وهو (العلم اللدنّي) قال تعالى :﴿ وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾ الكهف /٥٦ .

ثانياً : المنكرون لهذا العلم :

أنكر هذا العلم الإمام الشوكاني [٢٤] : صاحب تفسير (فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراسة في علم التفسير) وعدّه ضرباً من ضروب التكلف ، وأن العلم به لا فائدة منه ، بل جعله من التكلم بمحض الرأي الذي نُهي عنه وإليك بعض أقواله التي عارض فيها هذا العلم واردفته ببعض الردود التي قال بها علماء هذا العصر قال في تفسيره [٢٥] " اعلم أنّ كثيراً من المفسرين جاؤوا بعلم متكلف وخاضوا في بحر لم يكلفوا سباحته واستغرقوا أوقاتهم في فن لا يعود عليهم بفائدة بل أوقعوا أنفسهم في التكلم بمحض الرأي المنهي عنه في الأمور المتعلقة بكتاب الله سبحانه ؛ وذلك أنهم أرادوا أن يذكروا المناسبة بين الآيات القرآنية المسرودة على هذا الترتيب الموجود في المصاحف فجاؤوا بتكلفات وتعسفات يتبرأ منها الإنصاف ويتنزه عنها كلام البلغاء فضلاً عن كلام الرب سبحانه حتى أفردوا ذلك بالتصنيف وجعلوه المقصد الأهم من التأليف كما فعله البقاعي في تفسيره ومن تقدمه حسبما ذكر في خطبته " [٢٦]

وقد ردَّ هذا القول على الشوكاني ، بأن التكلف المنهي عنه في التفسير هو القول بالرأي المنهي عنه ، وهذا مالا نقصده ؛ لأن علم المناسبات هو من العلوم التي تحتاج إلى تفكر وتدبر لا إلى تكلف وتعسف ، بل هو علم لا بدّ منه ولاغنى عنه لأي عالم يبتغي تفسير القرآن ، وذلك لما فيه من إيضاح للمعاني وغيرها من الفوائد التي سنأتي على ذكرها [٢٧].

وقال أيضاً : إنّ البحث في مثل هذا العلم يفتح أبواب الشك والريب أمام أصحاب القلوب المريضة فقال هو : " فتح لأبواب الشك وتوسيع دائرة الريب على من في قلبه مرض أو كان مرضه مجرد الجهل والقصور فإنه إذا وجد أهل العلم يتكلمون في التناسب بين جميع آي القران ويفردون ذلك بالتصنيف تقرر عنده أن هذا أمر لابدّ منه وأنه لا يكون القران بليغاً معجزاً إلا إذا ظهر الوجه المقتضى للمناسبة وتبين الأمر الموجب للارتباط فان وجد الاختلاف بين الآيات نرجع إلى ما قاله المتكلمون في ذلك فوجده تكلفاً محضاً وتعسفاً بيّنا انقدح في قلبه ما كان عنه في عافية وسلامة " [٢٨]

وأجابوا عن قوله : إن جوانب الإعجاز في القران متعددة ولا تقتصر على التناسب ؛ لأنه يمثل جانباً من جوانب البلاغة القرآنية التي امتازت بجودة السبك وروعه البيان والعظم وجمال التركيب ، ولم نسمع أن أحداً قال : إن الإعجاز قائم عليه ، بل إن البحث في هذا العلم من العوامل التي تثبّت الإيمان في القلب وتقعد له القواعد [٢٩] .

والذي يثيرك في موقف الإمام الشوكاني أنه قد أورد في تفسيره عدة مواضع يعود فيها إلى السياق القرآني لفهم المعنى أو للترجيح بين الآراء أو لدفع الإيهام أو لإظهار روعة النسق القرآني وجمال نظمه وهذا كله يهديك إلى أن الإمام الشوكاني على إدراك للتناسب ، ولك إن تعود إلى تفسيره وتقف على كثير من المناسبات التي ضمها تفسيره [٣٠] ، وقال أيضاً : إن هذا العلم مجردٌ من الفائدة إذ قال :" وما أقلّ نفع مثل هذا وأنزر ثمرته وأحقر فائدتهُ بل هو عن من يفهم ما يقول وما يقال له من تضييع الأوقات وإنفاق الساعات في أمر لا يعود بنفع على فاعله ولا على من يقف عليه من التناسب "[٣١]

أما الإجابة عن هذا السؤال فستكون بذكر ثمار هذا العلم ، وإليكها مرتبة :

١- إن هذا العلم يستعان به في تدبر آيات الله - عز وجلّ - والالتفات إلى الحكم من ترتيب الآيات والسور على الوجه الذي عليه اليوم ، وبهذا نحقق طاعة أمر الله بما في القران قال تعالى :﴿ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ...﴾ ص/٢٩ ، ويترتب على ذلك تقوية أواصر الإيمان بين المسلم وكتاب الله تعالى ، وهذا وحده ثمرة يانعة ،مزهرة نضرة .

٢- إنه يعين بشكل واضح على فهم المعنى ويساعد على ترجيح الآراء بعضها على بعض وذلك من خلال السياق القرآني ، لذا كان من الأهمية بمكان التأمل في مقاصد السور وتعيين محورها العام فقوله تعالى :﴿ وَالصَّافَّاتِ صَفًّا﴾قد حصل خلاف بين المفسرين في معناها : فذهب الجمهور إلى أن المقصود بـ (الصَّافَّاتِ) هم الملائكة وقال آخرون : المقصود هو الطير ، والصحيح الراجح هو رأي الجمهور ، والسبب هو أننا لو أمعنا النظر في السورة إلى آخرها لوجدنا أن المناسبة بين مطلع السورة وخاتمتها لوجدناه ينطوي تحت قول الملائكة عن أنفسهم :{ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ} الصافات : ١٦٥- ١٦٦. [٣٢]

٣- إنّ هذا العلم يُعدّ سمة جديدة من سمات الإعجاز القرآني التي تمثل جودة سبكه وإحكام سرده ، " وآية ذلك أنك إذا تأملت في القرآن الكريم وجدت منه جسماً كاملاً تربط الأعصاب والجلود والأغشية بين أجزائه ، ولمحت فيه روحاً عاماً يبعث المياه والحس على تشابك وتساند بين أعضائه فذا هو وحدة متماسكة

متآلفة ... يعرف هذا الإحكام والترابط في القران كل مَنْ ألقى باله إلى التناسب الشائع فيه من غير تفكك ولا تخاذل " [٣٣]، وينجلي لك ما أريد أنّ الكلام في هذا العلم أمر سديد .

٤- ردُّ شُبهة أهل الضلال في الطعن بالوحدة الموضوعية للقرآن: لقد ظلّ أعداء الإسلام في كل وقت وحين يتربصون بالمسلمين الدوائر، عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم لعنهم وأعدّ لهم عذاباً أليماً ، لقد أثار المستشرقون شبهات تتعلق بالوحدة الموضوعية ، وزعموا أن القران الكريم لا يسير على وفق سياق منتظم وليس بينها نسق ، وقالوا : إنه بحاجة إلى إعادة ترتيبه على وفق أسباب النزول وذلك مراعاة للقارئ ومساعدة له على فهم معانيه !

ونقل د. احمد الشرقاوي نصاً عن المستشرق الفرنسي بلاشير [٣٤] إذ يقول : " إن إعادة ترتيب السور الذي اقترحه (نولدكه) * ينال هنا كامل الأهمية ؛ لأنه يلقي على المصحف أضواء مطمئنة ويرد وضع النصوص إلى آفاق سهلة الإدراك لكونها مقرونة إلى السياق ألتأريخي المعقول " ويعني بذلك عما يقول الشرقاوي - على وفق نزولها [٣٥]، ويقول جولد زيهر : " إنّ القران في جميع الشوط القديم للتأريخ الإسلامي لم يحرز الميل إلى التوحيد العقدي للنص إلا انتصارات طفيفة " [٣٦]

فهذه النصوص وغيرها ما هي إلا دلالات على الحقد الذي تنطوي عليه أنفس أعداء الإسلام ، لذلك قال العلماء : إن دراسة هذا العلم هو إجابات دامغة على تلك الشبهات التي يثيرها مرضى النفوس من أعداء الإسلام ، ونتفق على أنّ هذه الشبهات لا يمكن أن تليق بكتاب من صنع البشر فكيف بكتاب الله جل جلاله [٣٧] .

٥- إنّ المعرفة بهذا العلم تستجلب أسرار التكرار ولا سيما في كثير من القصص التي سيقت بألوان تعبيرية مختلفة . فقد أكّد ذلك البقاعي بقوله : " وبه يتبين لك أسرار القصص المكررات ، وأن كل سورة أعيدت فيها قصة فلمعنى أدعي في تلك السورة استدل عليه بتلك القصة غير المعنى الذي سيقت به في السورة السابقة ، ومن هنا اختلفت الألفاظ بحسب تلك الأغراض ، وتغيرت النظم بالتأخير والتقديم والإيجاز والتطويل ، مع أنها لا يخالف شيء من ذلك أصل المعنى الذي تكونت به القصة " [٣٨] .

إن التكرار الذي يراه الغافلون فضاءً موحشاً مضطرباً فقد جعله الباري - عز وجل- غرضاً بديعاً وكتاباً بليغاً لمن عرف مناسبته فيخرج بلاغة راقية ذات إعجاز وإيجاز ، مهما تنطع المتنطعون فالحقائق القرآنية المكررة ستبقى ذات أهمية راقية وفيها من الحكم ما فيها ، فالفطرة السلمية ستشهد أنّ في تكراره معجزة معنوية ، إلا مَنْ مرض قلبه بمرض الأوهام وصار ضحية لسقم الوجدان ، فسيدخل تحت قول القائل [٣٩] :

لاتَعْجَبَنْ لِحَسُودٍ رَاحَ يُنْكِرُهَا
تَجَاهُلاً وَهوَ عَينُ الحَاذِقِ الفهِمِ
قَدْ تُنكِرُ العَينُ ضَوءَ الشَمْس مِنْ رَمَدٍ
وَيُنْكِرُ الفَمُ طَعْمَ المَاءِ مِنْ سَقَمِ .

أنواع المناسبة في القران ثلاثة :

سأقتصر على ذكرها دون ذكر الأمثلة لأن المقام لا يحتمل ذلك :

أولاً : المناسبات في السورة الواحدة ، ويضم أقساماً منها : المناسبات بين أول السورة وخاتمتها ، والمناسبات بين الآية والتي بعدها ، والمناسبة بين حكمين في الآيات ، والمناسبة بين اسم السورة ومضمونها [٤٠] .

ثانياً : المناسبات بين السورتين ويضم أقساماً منها : المناسبة بين فاتحة السور وخاتمة التي قبلها ، والمناسبة بين مضمون السورة والتي تليها [٤١] .
ثالثاً : المناسبات العامة وتنطوي تحتها مناسبات مطلقة ذكرها العلماء ، وبحثنا الذي نحن بصدده هو من هذا النوع .

الفرق بين المناسبات وعلم النظام :

لقد فرّق الشيخ عبد الحميد الفراهي[٤٢] بين المناسبة وعلم النّظام وذكر إنّ القدماء كان جُلّ اهتمامهم منصّباً في الكشف عن المناسبة التي تربط الكلام من أوله إلى أخره حتى يصير بها شيئاً واحداً ، وقال : إن أحدهم قد يقنعه بيان المناسبة ، لذا حرص على التفرقة بين المناسبة والنظام فقال : " إنّ المراد بالنظام أن تكون السورة كلاً واحداً ، ثم تكون ذات مناسبة بالسورة السابقة واللاحقة ، أو التي قبلها أو بعدها على بُعد منها ، فكما أن الآيات ربما تكون معترضة ، فكذلك ربما تكون السورة معترضة ، وعلى هذا الأصل نرى القران كله كلاماً واحداً ذا مناسبة وترتيب في أجزائه ، من الأول إلى الآخر ؛ فتبين مما تقدم أن النظام شيء زائد على المناسبة وترتيب الأجزاء " [٤٣]

خلاصة نظرية النظام :

تُعدُّ المعرفة بالنظام عند الفراهي ما يعادل نصف القران ، فبالنظام يتبين سمت الكلام ، والانتفاع بالقران " وهو المعيِّن عند تعدد الاحتمالات ، وهو الإقليد الذي تفتحُ به كنوز القران " [٤٤] ، تبدأ هذه النظرية بالتدبر لاستجلاب واستخراج (عمود السورة) ومن هذا العمود تتم معرفة نظام القران كله ، شرط أن لا يكون هذا الاستخراج مبنياً على ما مبثوث في كتب التفاسير وغيرها من أقوال وروايات بل يكون بإعمال الفكر (نشاط عقلي ، تدبر ، إمعان ، إدراك) وقد طبق الفراهي نظريته في تفسيره { نظام القرآن وتأويل القرآن بالقرآن }فقد فسّر عدداً من سور القرآن التي أشكلت على المفسرين من حيث النظام والأسلوب إلا أنه لم يستطع أن يكمل تفسير القران على هذا المنوال ؛ لأن المنية قد اختارته قبل تحقيق ما أراد أن يتمه ، ولمزيد من الإيضاح فقد وضعت مخططاً يمثل خطوات النظرية :

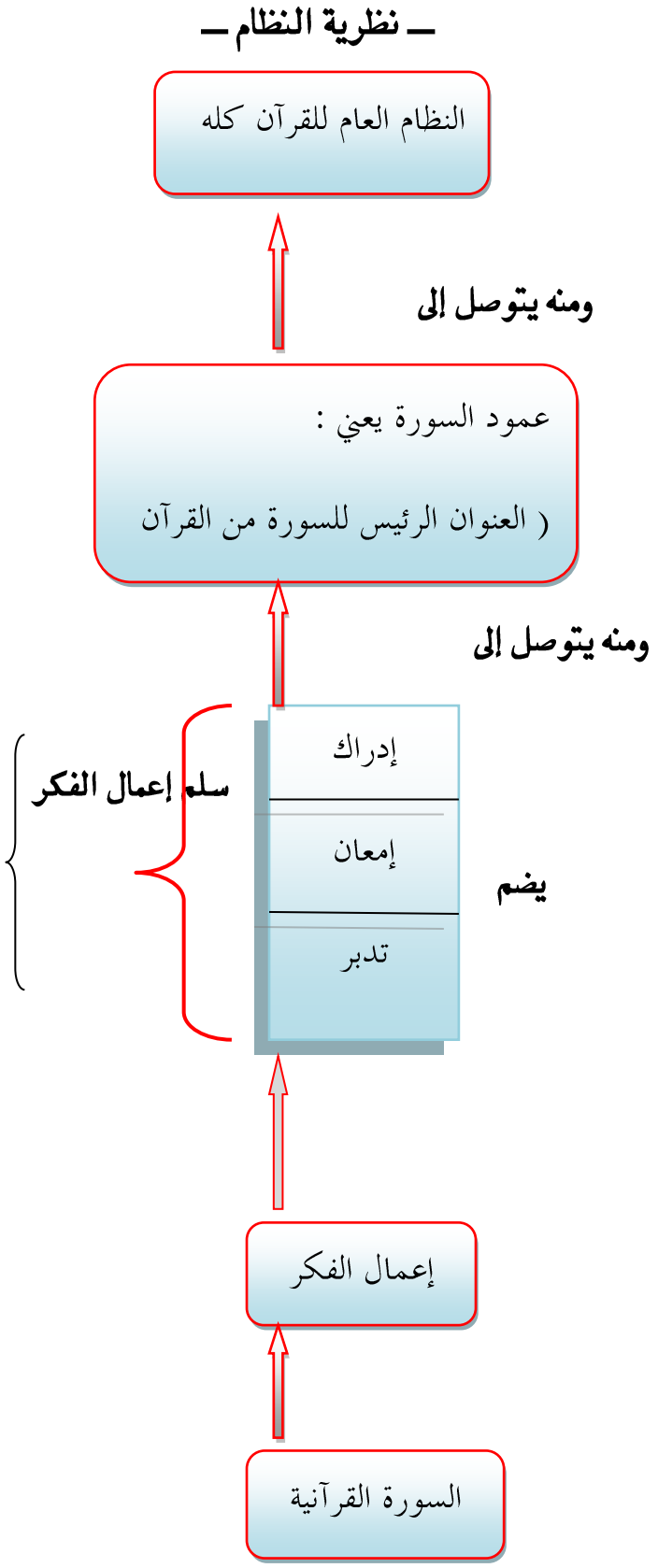
ـ نظرية النظام ـ
النظام العام للقرآن كله
ومنه يتوصل إلى
عمود السورة يعني :
(العنوان الرئيس للسورة من القرآن
ومنه يتوصل إلى
إدراك
إمعان
تدبر
يضم
سلم إعمال الفكر
إعمال الفكر
السورة القرآنية

وصرّح الشيخ الفراهي بصعوبة هذه النظرية لعدة أسباب منها ، أن القران قد أنزل متشابها مثاني ، وأنه انزل بالحكمة التي لا يمكن استجلاءها إلا بالتفكير والتدبر هذا من جانب ، والجانب الأهم هو أن القران الكريم جاء معجزاً بإيجاز ، لله دره من عالم خاطب روح القران مخاطبة الخبير كيف لا وهو الناقد الذي قرأ الصحف الموجودة بأيدي اليهود والنصارى قراءة معمقة ونقدها وقد أسعفه في ذلك علمه بعدة لغات، العبرية ، والعربية ،فضلاً عن لغته الهندية واطلاعه الواسع على الدراسات الغربية [٤٥] رحم الله هذا العالم الجليل وأخلف الأمة الإسلامية في فقيدها.

الأثر النفسي المترتب على المناسبة القرآنية :

إن الإنسان لا يمكن لأي فن قولي اعتيادي أن يسايره ؛ لأن المعروف عن النفس الإنسانية أنها جموح لا تهدأ وشرود لا يسيطر عليها ومتى ما أدركت الصعوبة في إدراك معاني الألفاظ التي تخاطب بها فإنها سرعان ما تشعر برغبة في الانصراف وعدم الاستماع ، إذ إنها تتدبر أيّ نص تسمعه لاستجلاب واستخراج أهم خصائص وميزات الانجذاب التلقائي فيه ، فأما أن تُقْبل عليه على سبيل الإيناس والرغبة ، أوتنفر عنه نفوراً لا عودة فيه ، وهذا الذي يؤثر سلباً في النِّمَاس المعاني النفسية وغيرها [٤٦] .

ومن هنا يتبين لنا أنّ المناسبة القرآنية لها أثر في النفوس إذ إنها تربط النفس وتجعلها مشدودة إلى الحكمة المقصودة من الكلام ؛ لأنّ الكلام الموزون من شأنه أن يحدث أثراً في النفس يجعلها مشرئبة مقبلة غير مدبرة ، فهذا الجمال الفني مقصود للتأثير الوجداني ؛ لأنه يخاطب الوجدان الديني بلغة الجمال الفني . يقول الرافعي : " فلما قرئ عليهم القرآن رأوا حروفه في كلماته وكلماته في جمله ، ألحاناً لغوية رائعة ، كأنها لإتلافها وتناسبها قطعة واحدة ، قراءتها هي توقيعها ... تسمع اللفظ القرآني فيجتمع لديك موسيقى الطبيعة ، وموسيقى النفس ، وموسيقى الحرف والكلمة والجملة " [٤٧]

المبحث الثاني
الدراسة التطبيقية

إن الاهتمام بالجانب الصوتي لم يكن وليد الساعة ولم يكن اعتباطاً وإنما جاء لما يتطلبه واقع الأمة يقول أحد المعاصرين: "إن القرآن نزل في أمة أميّة، تسمع أكثر مما تكتب. فلم يكن غريباً أن يهتم نص كتابها بالصورة الصوتية المسموعة، فيأتي وفيه من الأسجاع ذلك القدر الكثير الذي يتلى عليهم ويرتل ترتيلاً، يسمعون فيه ذلك النمط من الموسيقى التي لا عهد لهم بها، وهم أمة الشعر والموسيقى" [٤٨].

والسبب في ميول النفس الإنسانية واستعذابها للقرآن الكريم إنما ذلك الأمر معصوب بالانسجام المعجز الذي انفرد به ذلك الكتاب الخالد، ثم إنّ الكلام المنسجم يكون رشيقاً خفيف الظل على العقل، وذلك ما أثبته العلماء في الوقت الحاضر، إذ قالوا : إن الكلام المنسجم المنظم يكون أقل عبئاً على الذاكرة السمعية وأيسر في إعادته [٤٩]، لذا نرى أن البنية القرآنية كانت عميقة الموسيقى والانسجام الذي لا يكمن في المزاوجة بين الأصوات وجمعها في مفردة بل إنها تتمثل البنية الداخلية العميقة للنص في موسيقى لغته، وهذا ما يدعو إلى ربط النفس الإنسانية وجعلها مشدودة إلى المعنى المقصود من كلامه المقدس. ولعل من أسباب التلاؤم، تلك المناسبة بين صفات الأصوات ومعاني الكلمات القرآنية التي ستكون مادة لبحثنا.

وهذا استعراض لبعض الآيات القرآنية التي تناسبت فيها صفات الأصوات مع المعنى العام المقصود من الآية القرآنية : -قوله تعالى: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَراً فَسَاء مَطَرُ الْمُنذَرِينَ﴾ النمل: ٥٨.

إنّ الذي يتأمل هذه الآية الكريمة يجد أنها تصوِّر مشهداً مهيباً ترتعد منه الأوصال وتنخلع له القلوب فمادة (مطر) هي أصل صحيح له معنيان.

الأول منها: الغيث الذي يعني لغةً غَوَث: الغوثُ يقال: في النصرة[٥٠]، والثاني: في العذاب، وقد عُديّ بالهمزة مع أنه يُعدى بغيرها، وذلك فيه إشارة إلى بيان إزالة المعنى الأول، وهو الإغاثة والنصرة[٥١].

إذا أعدت النظر والتأمل في هذه الآية سترى أن مادة (مطر) قد تكررت ثلاث مرات تدك الأسماع وهي صارخة لتوحي لسامعها المعنى المعهود وهو النزول من السماء وأي نزول هو !، إن هذه الكلمة بما فيها من ثقل طاءاها وتكرار راءاها والصدى المزجر الذي تولد منهما وما ينجم عن احتكاكهما في إدراك السامع من قرقعة تأخذ بنياط القلب. فصوت (الطاء) في العربية، هو حرف من أحرف الإطباق، شديد انفجاري وكأنه يرسم لك بصفاته (الإطباق، الشدّة، الانفجار) ذلك الهول المهيب الذي حدث لتلك الأمة التي انتقم الله منها وجعلها مثلاً للعالمين، وبعد ذلك التصوير تشرأب لك الراء تتكرر في نقطة فرع طرف اللسان لحافة الحنك وقد تكرر مع كل الطاءات الثلاث، أتحسبه جاء هكذا بغير ارتباط ؟، إنك إذا أنصت مرة أخرى إنصات معتبر متأمل له في هذه المواضع الثلاثة لشعرت أن صوت الراء يعطي استمراريةً في ذلك العذاب ونزول الحجارة بكثافة كما تصوره موسيقى هذا الصوت، إذا انقطع جريان النفس معها؛ وإن استعمال مادة (مطر) في هذا الموضع خصوصاً يمثل قمة الإعجاز إذ إن المناسبة هنا في اختيارها يتجلى لك في معرفة صفات هذه الأصوات، أعني (م، ط، ر) فقد دلّت على الآتي:

الميم: حرف مجهور، متوسط بين الشدة والرخاوة، شكله في السريانية يشبه المطر٥٢، ويحدث النطق به بانطباق الشفتين بعضهما على بعض في ضمة متأنية، فالسد والانغلاق ظاهر بها وكأنه استعداد وتعبئة لانطلاق العذاب دونما عائق؛ وذلك لأن صوت الميم يجري النفس حراً طليقاً في مجراه، ثم تنفرج الشفتان ليطلق العنان إلى النطق بصوت الطاء الذي توحي إليك صفات مخرجه بدلالات متعددة وإليكها مفصلة:

١-شديد ، ولغة يعني : القوة ، فقد جسد القوة المستعملة في العذاب.

٢-مجهور: ولغة يعني : الإعلان وقد أريد هذا المعنى ليكون عبرة للأمم القادمة.

٣-مقلقل: ويعني لغة : المحرك، وأريد هذا المعنى لبيان شدة الحركة والزلزلة التي أصابتهم حال نزول العذاب.

٤-مطبق : ويعني لغة : الإلصاق وفيه دلالتان:

الأولى : إلصاق هذا العذاب بهم دون غيرهم من الأمم.

الثانية : إلصاق ابتداع هذا العمل الفاحش بهم دون غيرهم من الأمم السالفة الذكر.

أما صوت الراء : فحرف شديد يجري فيه الصوت لتكريره وانحرافه، وقد دل صوتاً على تكرار العذاب مرة بعد مرة فضلاً عن زيادته في كل مرة عن الأخرى وقد دلّك على هذا أن الراء صوت مرقق يصيبه التفخيم في السياق الصوتي[٣]أي : يتدرج فيها التفخيم. ذلك أن تتصور تأثير هذه الأصوات مشتملة بمخارجها التي تعطيك إيقاعاً عجباً عجاباً، يقول الجاحظ: " وأمر الصوت عجيب، وتصرفه في الوجود عجيب، فمن ذلك أنه منه ما يقتل كصوت الصاعقة، ومنه ما يسر النفوس حتى يفرط عليها السرور حتى ترقص، وحتى ربما رمى الرجل بنفسه من حالق، وذلك مثل هذه الأغاني المطربة، لأن ذلك ما يزيل العقل حتى يغشى على صاحبه، كنحو هذه الأصوات الشجية، والقراءات الملحنة، وليس يعتريهم ذلك من قبل المعاني؛ لأنهم في

كثير من ذلك لا يفهمون معاني كلامهم، [ولك أن تتصور ذلك عند سماع غير المسلمين القرآن وتأثرهم به] وقد بكى ماسرجويه من قراءة أبي الخوخ، فقيل له. كيف بكيت من كتاب الله ولا تصدق به ؟ قال إنما أبكاني الشجا"[٥٤].

لذا وجدنا أن هذه الأصوات المستعملة وهذا التنويع في استعمالهن يتناسب مع معاني الآيات ومضامينها، فضلاً عن سرعة استجابة السامع لمثل هذه النغمات الصوتية المنبثقة في مثل هذا الأسلوب وتنوع التيار الصوتي الذي يحتفظ بالمستوى الموسيقي الذي يتلاءم ومحور هذه الآيات الكريمات.

أما الأثر النفسي المترتب على هذا التناسب فإن المد المتصل الذي ضمته لفظة (سآء) الذي يستغرق مده زمناً مقداره ست حركات (بلغة علماء التجويد) فعندما يقرأه التالي للآية بنبرة طويلة متصلة توحي بالحالة النفسية الأليمة التي رسمها ذلك الطوفان من العذاب والرعب في مشهد يثير الحزن والأسى.

-قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزّاً﴾ مريم: ٨٣.

قبل أن أتكلم على الدلالة الصوتية المنتزعة من لفظة (أزّاً) أعرّج على تعريفها لغة: الهمزة والزاي يدلان على التحريك والإغراء، قال الخليل: الأزُّ: حمل الإنسان الإنسانَ على الأمر برفق واحتيال[٥٥]. وقال الفيروزآبادي في معنى هذه الكلمة (أزّت القدر، أي: اشتد غليانها)[٥٦]. قال ابن عباس تغويهم إغواءً[٥٧]، وذلك بإتيان المعاصي على الرغم من القبح والشناعة اللتين لا يشكون في ذم مرتكبيها ، فهم إذن منكرون لها ولكن مُزعَجَون بها فطبعهم ملاءم لطبع الطيب الذي ينافي طبع المخلوق من النار الذي يتصف بـ (الخفة، السَفه، الطيش) فحال الكافر وحيرته مثل الماء الذي يغلي في القدر[٥٨]. وإذا أمعنت النظر في سياق الآية العام لوجدت أن الموقف هنا جاء ليبين اضطرابهم وأن ما يحصل منهم منافٍ لرزانة الحلم الناشئ عن وقار العلم، فتشعر أن الجو العام فيه (اضطراب، سفه، خفة) وعدم استقرار فهل هذا ظاهر في الآية ؟، وبعد التقصي الدقيق لأصوات الآية تبين لي الآتي: أنّ الآية تألّفَ نظامها من أربعة عشر صوتاً من غير المكرر كان المجهور منها تسعة أصوات، في حين أن الباقي كان مهموساً والجهر معناه: الإعلان وقوة التصويت، فناسب ذلك الأزيز الذي وقع على الكفار بفعل الشياطين. إن إيثار هذه الصيغة (أزّاً) جاءت لتسمح بإندراج معان تصلح بهذا المقام فالهمزة التي تشبه التهوّع من صاحبها وخروجها من صدره كالسعلة[٥٩] ، وصفير الزاي من الأسنان، الذي يراد منه أزيزه، والصائت الطويل الذي لا يثنيه شيء عن إطلاق ذلك الأزيز المزمجر، كل ذلك يناسب مقام الآية العام ويوحي بدلالات هي :

١. أنه يوحي بالاضطراب والتحرك والاهتزاز، وهذا ما نلاحظه من النطق بالهمزة وصفتها المهتوتة[٦٠]والهتُّ في اللغة[٦١]: شبه عصر الصوت؛ لأنّ مخرجها من أقصى الحلق، لذا أشبه النطق بها التهوع وهو (التّقيُّؤ)، ولك أن تتصور حال المتهوّع وما يصاحبه من اضطراب وتحرّك وانزعاج داخلي، فناسب ذلك حال الكفار واضطرابهم وعدم استقرارهم.
٢. الشدّة والفاعلية، وهذا ما يُنتزع من تشديد صوت الزاي الذي تُعد خاصيّة الاهتزاز والشدة فيه أصلٌ[٦٢].
٣. المكث الطويل على هذه الحال مع التبعثر والانزلاق في غياهب المعاصي وهذا ما يجسده الصائت الطويل (الألف) لأن الزيادة فيه دلت على الزيادة في الزمن المستغرق لذلك الأزّ.

-قول تعالى: ﴿ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً...﴾ الأعراف: ١٦٠.

انبجس: الباء والجيم والسين، تعني تفتح الشيء بالماء خاصة. قال الخليل: البجس : انشقاق في قربة أو حجر أو أرض ينبع منها الماء[٦٣]. إذا استجمعت ذاكرتك ورجعت بعقلك إلى سورة البقرة (آية ٦٠) لرأيت أن القصة ذكرت هناك أول مرة واستعمل لفظ (انفجرت) بدلاً عن (انبجست) فما الحكمة من ذلك،أقول ـ والله المستعان ـ إنّ الانفجار الذي يذكر في سورة البقرة إنما كان ذلك في مقام تعداد النعم والامتنان فناسب اللفظ ذاك السياق الذي يوحي بدلالته إلى: (ـالسعة، والانتشار، والكثر، والتقشي. والسرعة)[٦٤]، في حين أنه استعمل هنا لفظة (الانبجاس) الذي يعني : خروج الشيء بعُصرةٍ، ويوحي بدلالات (النبع، الانتشار، والظهور) وقد جاء هذا اللفظ مناسباً لمقام الذم الذي دلّ عليه سياق الآيات الكريمات. ويطيب لي أن أظهر مناسبة أخرى متوسلاً بالدلالة الصوتية ؛ أنّ التقاء النون الساكنة بالباء يطلق عليه إقلاب، والإقلاب معناه : هو تحويل الشيء عن وجهه فقد ناسب الإقلاب هنا ، فالإقلاب الذي حدث لبني إسرائيل وسرعة مروقهم عن الدين هذا من جانب، والذي لفت نظري أن أصوات هذه اللفظة (أ ، ن، ب، ج، س، ت) كلها تحمل صفة الانفتاح، الذي يعني لغة (الافتراق) وفي الاصطلاح: هو افتراق المخرج عما يحاذيه في الفك، وهذا أيضاً مناسب أيضاً لسياق الآية سواء أكان المعنى اللغوي أم المعنى الاصطلاحي فكلاهما منسجم مع السياق العام للآية الكريمة، فهذا أسلوب القرآن الكريم، فقد استعمل أسلوباً من أحسن الأساليب لإيصال المعنى المراد ألا وهو تحويل المعنى إلى صورة فتصبح واقعاً أمامك، وقد فهم المعنى فهماً دقيقاً.

يقول الخطيب الإسكافي: (إذا أورد الحكيم ـ تقدَّسَتْ أسماؤه ـ آية على لفظة مخصوصة، ثم أعادها في موضع آخر من القرآن، وقد غيّر لفظة عمّا كانت عليه في الأولى فلا بدَّ من حكمة تُطلب، وإن أدركتموها فقد ظفرتم، وإن لم تدركوها فليس ؛ لأنه لا حكمة هناك، بل جهلتم" [٦٥].

- قال تعالى : ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ مَلِكِ النَّاسِ...﴾ سورة الناس .

إن تكرار صوت السين في هذه السورة القصيرة عشر مرات، ليس من قبيل المصادفة -إن صَحَّ التعبير- بل إنّ ذلك يشكل تناسباً صوتياً ودلالياً، فالسين هو صوت صامت مهموس لثوي احتكاكي، واختيار هذا الحرف جاء لحكمة أراد الله بها أن يظهر الطريقة التي يسلكها الشيطان للدخول إلى قلب ابن ادم لتحريضه على فعل الأعمال القبيحة والجرائم الشنيعة، فقد ناسب الهمس في هذا الصوت (الخفة والخفاء) اللتين يستعملها الشيطان للتسويل والتزيين لإيقاع ابن آدم في شرك المعصية، وإن الجرس الموسيقي لهذا الصوت وما يعضده من أحداث أخرى أعانت على تحقيق هذا المعنى المراد، وهما صوتا (الصاد والفاء) اللتين تجمعهما صفتا الهمس والاحتكاك وكذلك التقارب في وضع اللسان والشفتين حال النطق بهما[٦٦] ولا يغيب عن ناظرك ما أحدثه صوت الواو الذي يمثل صائتاً طويلاً مجهوراً قد أعطى نغمة خاصة عندما أسبك في نظم هذه الكلمات فأعطى تصويراً عالياً في هذا الموقف الذي يصور ذلك التحريض الخفي على إثبات المعاصي يقول الخطّابي (٣٨٨هـ): "واعلم أن القرآن إنما صار معجزاً ؛ لأنه جاء بأفصح الألفاظ في أحسن نظوم التأليف متضمناً أصح المعاني"[٦٧].

فالمناسبة لتكرار هذا الصوت إنما جاء لبيان المطلوب وهذا تمكين في النفوس وتقريره للمعاني المرادة[٦٨]، وأما الأثر النفسي المترتب على هذا المناسبة فهو أن صوت السين جسد بصفاته ذلك الملمح النفسي الذي يدعو إلى التنبه وعدم الغفلة للطرق التي يسلكها الشيطان في التسور الى قلب البشر.

- قال تعالى: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ فاطر/٣٧.

لك أن تمعن النظر في هذا المشهد الحركي الذي تصوره هذه الآية الكريمة التي تجعلك أمام زخم من الصراخ، والاضطراب، والقلق، والعويل، فهذه كلها صفات الذين وصف الله حالهم وهم في جهنم فجاء التعبير بلفظة (يصطرخون) والاصطراخ هو شدة الصياح، وغالباً ما يكون استعماله في طلب الغوث والنجدة ومجيء هذه اللفظة على وزن (افتعال)، اصطرخ توحي لك تاء الافتعال بعدة دلالات، الصخب، القلق، البكاء، الشديد، فأصل الكلمة في يصطرخون – يصترخون، وقد قصد مجاورة صوت التاء لصوت الصاد المطبق، على الرغم من أن التاء والصاد من أحرف الهمس إلا أن الصاد أقوى منها، فتتحول بالمجاورة إلى التفخيم فصارت (طاءً) لتؤدي بذلك غرضاً دلالياً يناسب المعنى، وهو المبالغة في ايحاء البكاء بغاية ما يقدرون عليه من الجهد في العويل والنياح[٦٩]. إذ إن الإيقاع الذي تكوَّن من توالي هذه الأصوات (الصاد الصفيرية التي تشبه السين إلّا أنّها أمْلَأ صوتاً منها، والراء الصوت الشديد المنحرف، والخاء، الذي يلفظ منه خنخنة ، ويمثل أثر الأصوات الحلقية وما يوحيه من اشمئزاز وتقزيز)[٧٠].

فإذا وضعنا أيدينا على الحس الصوتي في اللغة، نستوحي دلالات متعددة خاصة من صفات الأصوات، وقد واكبت السياق الحاصل فيها :

١. صورة تجسد الاضطراب والقلق ما جسده الراء بصفته التي يضطرب اللسان في حال النطق به.
٢. صورة تجسد الضجة والاصطراخ والاستغاثة ما جسده حرف النون
٣. طول مدة الإهمال والتأنيب وهذا ما جسده الصائت الطويل (الواو).
٤. طول مدة الجرس الغليظ والإيقاع وهو ما تضافر الصاد والطاء لتجسيد ذلك.

فالصور التي ذكرناها آنفاً هي مستوحاة من تضافر أصوات (يصطرخون) وصفاتها وقد أغفلت التعقيب على صوت النون وقد آن أوآنه . أرى أن النون التي ختمت بها كلمة (يصطرخون) جاءت لغاية لطيفة وهي أن ضم (أحرف الإطباق والخاء الذي يمثل آخر أحرف الحلق) إلى النون لما فيها من التصاق وغنة لا تأتي بوضع حرف غيره، وبذلك يحقق صوت النون من طريق صفته الملمح الصوتي الذي يحدث واقعاً يشعر بأن ذلك الاصطراخ نابع من الصميم معبر عن الألم العميق، وبذلك يكشف لنا عن أن النون هي من أصلح الاصوات التي تعبر عن مشاعر الألم والخشوع[٧١]

- قوله تعالى : ﴿عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ﴾ القلم / ١٣.

قال الفراء : الزنيم الدعي الملصق بالقوم وليس منه، يقول الشاعر :

زَنِيمٌ لَيْسَ يُعْرَفُ مَنْ أَبُوهُ ... بَغِيُّ الْأُمِّ ذُو حَسَبٍ لَئِيمِ

وقيل هو: الذي يُعرف بالشر واللؤم[٧٢]

وفي اللغة: الزاء والنون والميم أصل فيه دلالة على تعليق شيء بشيء وهو ماخوذ من (زَنَمَة) الشاة على وزن (عَظَمَة)، وهو يطلق على الجزء المتدلي تحت لحيتها، وقد خص بعضهم به العنز[٧٣] . السياق العام لهذه الاية هو ذكر الصفتين الثامنة والتاسعة، يقول ابن عباس "لا نعلم أن الله وصف أحداً بما وصفه – الوليد ابن مغيرة – به من العيوب فألحق به عاراً لا يفارقه أبداً ، وتعلق بزنيم الظرف قبله"[٧٤] وقد أخرج الإمام أحمد عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه سئل عن معنى العتل الزنيم فقال: (هو الشديد الخلق والمصَحح الأكول الشروب الواجد للطعام والشراب، الظلوم للناس رحيب الجوف)[٧٥] فالسياق كما ذكرنا آنفاً يحوم حول الصفات الذميمة التي تدل على أنها صارت علاقة سوء وشر يعرف بها، أما ملمح الدلالات الصوتية الذي ينتزع في هذا المقام فهو على قسمين: الأول متعلق بالآية : وهو الإقلاب الذي حصل في إلتقاء تنوين الكسر بالباء في قوله تعالى : (عتل بعد .....) فالذي حدث بهذا الحكم هو الإقلاب الذي يعني تحويل الكلام

عن وجهه، فقد حدث قلب للأمور وانكشفت الحقائق فقيل: إن الوليد بن المغيرة ادعاه أبوه بعد ثماني عشرة سنة[٧٦] فالإقلاب في الأحداث قد ناسب التحول من عز ورفعة بالنسب إلى دعي ليس له نسب ثابت.

الثاني : أنّ كلمة (زنيم) تقدم بنية صوتية خاصة تنجذب لها الأسماع ، وتثير الانتباه، والمثير أن أصوات اللفظة (ز، ن، ي، م) قد تضافرت في إبراز دلالات لما تحمله من صدى صوتي، ووزن مسبوك، وأن هذه الدلالات المنتزعة صوتياً تناسب المعنى العام للآية، وبعد التقصي تبين لي الآتي :

أولا : أن هذه الأصوات التي تألف منها لفظ (زنيم) كلها من أصوات الاستقالة والتي تعني لغة: الانخفاض، وفي الاصطلاح: سميت بالمستقلة ؛ لأن اللسان ينخفض بها عن الحنك عند النطق بها، وهذا مناسب للجو العام في الآية فقد حصل الانخفاض والتسفل لذلك الكافر، وأما في الاصطلاح ففيه دلالة على أنّ اللسان سوف يبقى منخفضاً بذكر هذا، ولن تكتب له الرفعة والسمو.

ثانياً: أن هذه الأحداث قد اشتركت أيضاً بصفة أخرى وهي :

الجهر: الذي يعني الإعلان وقوة التصويت، فقد ناسب ذلك الجو العام للآية الذي يدل سياقه على تعداد الصفات السلبية والذميمة وفي مثل هذا الحال يطلب الإعلان والقوة في الصوت للكشف والإبانة ويستغنى عن الهمس، وقد جسد صوت الياء صورة رائعة وذلك إذا تحرك ما قبل الياء بالكسر، فإنها تشفُّ عما في الصميم والعمق[٧٧]. ولك أن تتصور ذلك العمق المعنوي الذي كانت تختبي وراءه هذه الصفة الذميمة في نفس الوليد بن المغيرة قبل أن يصرح بها المولى عز وجل.

ثالثاً: اشتركت هذه الأصوات بصفة الانفتاح الذي يعني لغة : الافتراق، وقد ناسب ذلك المعنى العام، إذ إن الافتراق قد حصل بين ذلك الزنيم وبين العزة والشرف، وأما في الاصطلاح فيعني، أن اللسان لا ينطبق على الحنك حال النطق بها، وفيه دلالة تخبر بأنه من الاستحالة التصاق الشرف به وأطباقه عليه مرة أخرى، بعد هذا الوصف الذي بقي عليه سمة يعرف بها كما تعرف الشاة بزنمتها.

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، سالك الإيمان في قلوب المسلمين، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين محمد وعلى آله وصحبه الغر الميامين وبعد...

فتلك محاولة متواضعة للكشف عن بعض أوجه الإعجاز في تناسب صفات الأصوات مع معاني الكلمات القرآنية وكان من نتائج هذه المحاولة الآتي :

- أنّ التناسب من العلوم الأساسية التي بنى المفسرون قوامها مع الأخذ بنظر الاعتبار الأخذ بيد هذا العلم والسير به قدماً لأجل اطلاع الناس عليه لفهمه فهماً يعينهم على بلوغ مقاصده.
- أنّ العلاقة بين صفات الأصوات ومعاني الكلمات لها أثر في إظهار الصورة الفنية المتشكلة في الجملة القرآنية.
- تآزر مخارج الأصوات في اللفظة القرآنية لإحداث النغمة المناسبة الصوتية المتساوية.
- ذكرت أهم القضايا المتعلقة بالمناسبة القرآنية، فقد عرفت بها وذكرت أهم ثمراتها التي من خلالها يثبت وجوه إعجاز القرآن الكريم وذكرت آراء العلماء القائلين بهذا العلم ومن أنكره، وذكرت أن هذا العلم له أثره عند المفسرين ويوقفهم على لطائف ومقاصد تفيد في الكشف عن درر المعاني الكامنة في صدفة اللفظ.

• ذكرت العلاقة بين التناسب ونظرية (النّظام) التي قال بها الشيخ عبد الحميد الفراهي الذي بيّن فيها أنّ التناسب هو جزء من النظام وقد فصّلتُ القول في ذلك.

وختاماً أرجو أن أكون قد وفقت في رسم صورة واضحة المعالم لهذا العلم الشريف المتعلق بالقرآن الكريم، وفي التوجيهات الصوتية التي أسال الله تعالى أن لا أكون قد تعسّفتُ في إيجاد المناسبة، والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل.

الهوامش

١. ينظر : الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية): إسماعيل بن حماد الجوهري ت ٣٩٣هـ، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ، دار الملايين ، بيروت ،ط٣، ١٩٨٤ م ٤٢٢/١.
٢. ينظر: المعجم المفصل في علوم البلاغة : جمع وترتيب د.إنعام عكاوي ، ط دار الكتب العلمية ٤٣٠/٦.
٣. ينظر :أصول الفقه ،لأبي زهرة ،دار الفكر العربي ،ص ٢٤١ .
٤. ينظر :النظم الفني في القران : عبد العال الصعيدي ، مكتبة الآداب ، المطبعة النموذجية مصر ـ القاهرة و.ت، ص٤ .
٥. ينظر : البرهان في علوم القران : للزركشي ٣٥/١ .
٦. أضواء البيان : ٤ / ١٠٨ .
٧. ينظر : نظم الدرر في تناسب الآيات والسور : للإمام برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي ، خرج أحاديثه ووضع حواشيه عبد الرزاق غالب المهدي، بيروت – لبنان ، دار الكتب العلمية ، ط٣، ٢٠٠٦ م ١ /٥ .
٨. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ٥/١ .
٩. النظم الفني : ٦ .
١٠. ينظر : البرهان للزركشي : ٣٦ .
١١. ينظر : نظم الدرر : ٦/١ .
١٢. الإتقان في علوم القران : للسيوطي ١٤١/٢،نقله عن بعض المتأخرين .
١٣. ينظر : نظم الدرر ١/ ١٣ ، والبنأ العظيم : محمد عبد الله دراز ، ١٥٦ .
١٤. البرهان : ٤٠ .
١٥. ينظر : الاتقان في علوم القران ١٣٩/٢ .
١٦. تفسير الرازي : ١٠/ ١٤٥ ، وينظر : البرهان : ٣٦ ، والإتقان : ١٣٨/٢ .
١٧. معترك الأقران في إعجاز القران : للسيوطي : ٤٣/١ .
١٨. البرهان : ١/ ٣٥ .
١٩. المصدر نفسه : ١/ ٣٦ .
٢٠. نظم الدرر : ٦/١
٢١. ينظر : في ظلال القران :سيد قطب ،دار الشروق ،ط١ ،١٩٨٥ .
٢٢. تفسير المنار : محمد رشيد رضا ، دار المعرفة ، بيروت ـ لبنان ، د.ت ، ٤٤٥/٢ .
٢٣. ينظر : - تفسير التحرير والتنوير : محمد الطاهر بن عاشور ،الدار التونسية للنشر ، ١٩٨٤ م .سورة المطففين .
٢٤. هو محمد بن علي بن محمد بن عبد الله بن الحسن ، انتسب إلى هجرة شوكان في اليمن ، وقال عنها :(وهذه الهجرة معمورة بأهل الفضل والصلاح والدين من قديم الزمان ...) توفي سنة ١٢٥٠هـ ينظر : معجم المؤلفين : عمر رضا كحالة ٥٣/١١.
٢٥. ينظر : تفسير فتح القدير ٧٢/١ ، ٧٣ .
٢٦. ينظر : موقف الإمام الشوكاني في تفسيره من المناسبات ، د. احمد محمد الشرقاوي ، جامعة الازهر ص٥ .
٢٧. المصدر نفسه : ص٥ .
٢٨. فتح القدير : ١/ المقدمة .
٢٩. موقف الامام الشوكني في تفسيره من المناسبات : د. احمد محمد الشرقاوي مكتبة جامعة الازهر ، د.ت ، ص٨ .
٣٠. المصدر نفسه :ص٦٨ .
٣١. فتح القدير / المقدمة .
٣٢. علم المناسبات في القران : محمد الخضيري : ص ١٤ .
٣٣. مناهل العرفان في علوم القران : محمد بن عبد العظيم الزرقاني ، ٢/ ٨ ، ٢٢٩/٢٢ .

٣٤. مستشرق فرنسي وهو صاحب كتاب التاريخ الأدب العربي) و (القران : نزوله تدوينه ترجمته وتأثيره ـ ينظر في ترجمته : المستشرقون : نجيب العفيفي ٣٠٩/١ ـ ٣١٢ ط دار المعارف *مستشرف الماني ت ١٩٣٠ له مؤلفات كثر منها : تاريخ النص القراني ينظر في ترجمة المصدر نفسه ٣٧٩/٢ ـ ٣٨٣ .

٣٥. ينظر : موقف الإمام الشوكاني: ص١٨ .

٣٦. مذاهب التفسير الإسلامي : كولد زيهر ،ترجمة د. عبد الحليم النجار ، مطبعة السنة المحمدية ،١٣٧٤ هـ ،ص :٥.

٣٧. ينظر : الأساس في التفسير :سعيد بن محمد حوى (ت١٩٨٩) .

٣٨. نظم الدرر ١/ ١٤ .

٣٩. ينظر : المعجزات القرآنية : بديع الزمان سعيد النورسي ، ترجمه : إحسان قاسم الصالحي ، ط ١ ، ١٩٩٠ هـ ص : ١٩٩ .

٤٠. للمزيد من التفصيل ينظر : جواهر البيان في تناسب سور القران عبد الله محمد بن صديق الغماري .

٤١. للمزيد من التفصيل ينظر : النبأ العظيم : د .محمد عبد الله دراز .

٤٢. هو الشيخ حميد الدين أبو أحمد عبد الحميد بن عبد المحسن الأنصاري الفراهي ، ولد سنة ١٢٨هـ ـ١٨٦٤ م في قرية خيرها من قرى (أعظم كره) في شبه القارة الهندية عالم جليل ، له مؤلفات علمية أشهرها : تفسير [نظام القران وتأويل الفرقان بالفرقان امعان في اقسام القران (يقع ١٤٧ صفحة ـ طبع بدار القلم بدمشق ـ ط١/ ١٩٩٤) ، وكذلك كتاب دلائل النظام (١٢٧ صفحة ـ نشر الدائرة الحميدية بالهند ، ط١ / ١٣٨٨ هـ ، وكذلك مجموعة رسائل الفراهي (مطبوعة بالهند) ـ واساليب القران ـ والتأميل في اصول التأويل ـ مفردات القران طبع في دار الغرب الاسلامي بيروت ، ط١ / ٢٠٠٢ م . ومؤلفاته كثيرة لا يسمح لنا المقام بسردها وللمزيد من التفصيل ينظر : ترجمة السيد سليمان الندوي .

٤٣. دلائل النظام ، الدائرة الحميدية ، ط١/١٣٨٨هـ ، ص٧٤ ـ ٧٥ ـ رحمه الله ـ للشيخ الفراهي ، التي كتبها إثر وفاته ، وألحقها بآخر الطبعة المصرية من كتابه : إمعان في أقسام القرآن (المطبعة السلفية بالقاهرة ، ١٩٣٠ م) وكذلك المقدمة التي كتبها الدكتور محمد أجمل ايوب الاصلاحي في مقدمة كتاب الفراهي :(مفردات القران) دار الغرب الاسلامي بيروت ، ط١/ ٢٠٠٢ م .

٤٤. المصدر نفسه .

٤٥. ينظر : نظام القرآن ، الدائرة الحميدية ، ط١ ، ٢٠٠٠ م : ص٦ .

٤٦. بلاغة القرآن بين الفن والتأريخ ؛ فتحي احمد عامر ، (الاسكندرية : دار المعارف د.ط ١٩٨٠ ، ص٣٨٩ .

٤٧. اعجاز القران و البلاغة النبوية ؛ مصطفى صادق الرافعي ـ القاهرة ، المكتبة التجارية الكبرى ، ط٧ ، ١٩٩٦ ، ص٢٤٣ .

٤٨- السجع والقرآن والباقلاني: عبد الرؤوف مخلوف، (مصر: مجلة الأزهر، ع٥، ١٩٦٧: ٤٣٨، نقلاً عن كتاب التعبير القرآني والدلالة النفسية، د. عبد الله محمد الجوسي، دمشق، دار الغوثاني، ٢٠٠٧م: ١٨٨.

٤٩- ينظر: موسيقى الشعر، د. إبراهيم أنيس، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ط٦، ١٩٨٨: ٩.

٥٠- معجم مقاييس اللغة : لأبي الحسين احمد بن فارس بن زكريا ٣٩٥ هـ ، تحقيق عبد السلام هارون ، دار الفكر ، بيروت ،١٩٧٩، مادة (مطر)

٥١ - ينظر: خصائص الحروف العربية : ص٧٢ .

٥٢- ينظر: مفهوم القوة والضعف في أصوات العربية، د. محمد سالم الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٢٠٠٦م: ٨٧.

٥٣- ينظر: الحيوان للجاحظ : ٤ /٣٥٣ .

٥٤ - ينظر: معجم مقاييس اللغة:مادة (ازا)، ولسان العرب: (ازا)

٥٥ - القاموس المحيط : مادة (ازا).

٥٦ - ينظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، اعتنى به وخرّج أحاديثه (مجموعة من العلماء)، دار ابن الهيثم، القاهرة، ط١، ٢٠٠٥م، ٣: ١٨٣٦.

٥٧- ينظر: نظم الدرر ٤: ٥٥٧.

٥٨- ينظر: دقائق التصريف، للقاسم بن محمد بن سعيد المؤدّب، تحقيق الدكاترة أحمد ناجي القيسي، حاتم الضامن، حسين توال، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٩٨٧م: ٥٢٥.

٥٩ - ينظر: العين: ١: ٥٢، وسر صناعة الإعراب ١: ٧٤، وهمع الهوامع ٦: ٢٩٨.

٦٠ - ينظر: لسان العرب مادة (هتّ) : ٢: ٤٠٨.

٦١ - ينظر: خصائص الحروف العربية ومعانيها : ١٣٩ وما بعدها.

٦٢ - ينظر: الصحاح: (بجس) والقاموس المحيط : (بجس) ومعجم مقاييس اللغة: (بجس) ،لسان العرب، مادة (بجس) .

٦٣ - ينظر: نظم الدرر : ١/ ١٤٥ و ٣/ ١٣٨.

٦٤ - درة التنزيل وغرّة التأويل، محمد بن عبد الله الخطيب الإسكافي، تحقيق د. محمد مصطفى آيدين، مطابع جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط١، ١٤٢٢: ٢٥٠.

٦٥ - ينظر: علم اللغة العام: د. محمود السعران: ص١٩٢، ودراسات قرآنية في جزء عم: د. محمود محمد نحله، دار العلوم العربية، بيروت – لبنان، ط١، ١٩٨٩، ص١٦١.
٦٦ - بيان إعجاز القران: أبو سليمان حمد بن محمد، (ضمن ثلاث رسائل في اعجاز القرآن) تحقيق: د. محمد خلف الله، ومحمد زغلول سلام، دار المعارف بمصر، القاهرة، (د . ت).
٦٧ - ينظر: الكشاف: للزمخشري ١٠٤/١، ومناهج وآراء في لغة القرآن: د. محمد بركات حمدي: دار الفكر، عمان – الأردن، ١٩٨٤، ص٤٣.
٦٨ - ينظر: نظم الدرر ٢٢٩/٦.
٦٩ - ينظر: خصائص الحروف العربية: منشورات اتحاد الكتاب العربي، دمشق – سوريا، ١٩٩٨، ص١٧٤.
٧٠ - المصدر نفسه /١٦٠.
٧١ - ينظر: لسان العرب: مادة(زغم)
٧٢ - ينظر: معجم مقاييس اللغة :مادة (زغم)
٧٣ - تفسير القران العظيم: لابن كثير ٢٩٢٤/٤.
٧٤ - ينظر: مسند الإمام احمد بن حنبل ، طبعة المكتب الإسلامي (د – ت) ، (١٧٥٣٢).
٧٥ - تفسير الجلالين: سورة القلم ، تفسير آية /١٣
٧٦ - ينظر: خصائص الحروف العربية ومعانيها : حسن عباس: ص١٠٠.

مصادر البحث ومراجعة

- الإتقان في علوم القران :جلال الدين السيوطي ت ٩١١ ه تحقيق :محمد أبو الفضل إبراهيم / المكتبة العصرية ، بيروت ،١٩٨٧ م.
- إعجاز القران و البلاغة النبوية ؛ مصطفى صادق الرافعي ـ القاهرة ، المكتبة التجارية الكبرى ، ط٧ ، ١٩٩٦
- البرهان في علوم القران :بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ٧٩٤ هـ تحقيق : يوسف عبد الرحمن المرعشلي وآخرين ، دار المعرفة ، بيروت ،ط٢ ،١٩٩٤م .
- بلاغة القران بين الفن والتأريخ ؛ فتحي احمد عامر ، (الإسكندرية : دار المعارف د.ط ١٩٨٠
- بيان إعجاز القران: أبو سليمان حمد بن محمد، (ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن) تحقيق: د. محمد خلف الله، ومحمد زغلول سلام، دار المعارف بمصر، القاهرة، (د . ت).
- التعبير القرآني ودلالته النفسية : د.عبد الله محمد الجيوسي ، دمشق ، دار الغوثاني ، ط٢ ، ٢٠٠٧م.
- تفسير التحرير والتنوير : محمد الطاهر بن عاشور ،الدار التونسية للنشر ، ١٩٨٤ م .
- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، اعتنى به وخرّج أحاديثه (مجموعة من العلماء)، دار ابن الهيثم، القاهرة، ط١، ٢٠٠٥م
- التفسير الكبير : للإمام فخر الرازي الشافعي ، بيروت – لبنان دار الكتب العلمية،ط١، ٢٠٠٠ م
- تفسير المنار : محمد رشيد رضا ، دار المعرفة ، بيروت ـ ط٢ ،١٩٧٣ م.
- خصائص الحروف العربية: د. حسن عباس ، منشورات اتحاد الكتاب العربي،سوريا- دمشق ،١٩٩٨
- ودراسات قرآنية في جزء عم: د. محمود محمد نحله، دار العلوم العربية، بيروت –لبنان، ط١، ١٩٨٩،
- درة التنزيل وغرّة التأويل، محمد بن عبد الله الخطيب الإسكافي، تحقيق د. محمد مصطفى آيدين، مطابع جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط١، ١٤٢٢
- دقائق التصريف، للقاسم بن محمد بن سعيد المؤدِّب، تحقيق الدكاترة :أحمد ناجي القيسي، وحاتم الضامن، وحسين توال، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٩٨٧م

- الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية): إسماعيل بن حماد الجوهري ت ٣٩٣هـ، تحقيق احمد عبد الغفور عطار ، دار الملايين ، بيروت ،ط٣، ١٩٨٤ م.
- علم اللغة : محمود السعران ، بيروت ، دار ، دار النهضة العربية ، د. ط.١٩٨٠ م.
- العين :لأبي عبد الرحمن الخليل بن احمد الفراهيدي (١٧٥ هـ) ،تحقيق : د. مهدي المخزومي ،و د. إبراهيم السامرائي ، العراق – بغداد ،دار الرشيد للنشر ،(د- ط)، ١٩٨٢ .
- فتح القدير :محمد بن علي بن محمد الشوكاني ت ١٢٥٠ هـ ،عالم المعرفة ، بيروت لبنان .
- في ظلال القران : سيد قطب ، القاهرة ، دار الشروق ، ط ١١ ، ١٩٨٥ م .
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل جار الله محمود بن عمر الزمخشري ٥٣٨ هـ تحقيق عادل أحمد عبد الموجود ،وعلي محمد معوض ، الرياض ،ط١ ،١٩٩٨
- لسان العرب : ابن منظور ، تقديم عبد الله العلا يلي ، دار صادر ، لبنان - بيروت
- مختار الصحاح : محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي ، دار الرسالة، الكويت ،١٩٨٣ م
- مسند الإمام احمد بن حنبل ، طبعة المكتب الإسلامي بدون تاريخ ، (١٧٥٣٢).
- المعجزات القرآنية : سعيد النورسي ، ترجمة : إحسان قاسم ألصالحي ، د.ط. ١٩٩٠م .
- المعجم المفصل في علوم البلاغة : جمع وترتيب د.إنعام عكاوي ، ط دار الكتب العلمية
- معجم مقاييس اللغة : لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ٣٩٥ هـ ، تحقيق عبد السلام هارون ، دار الفكر ، بيروت ،١٩٧٩ .
- مفهوم القوة والضعف في أصوات العربية، د. محمد سالم الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٢٠٠٦م
- ومناهج وآراء في لغة القرآن: د. محمد بركات حمدي: دار الفكر، عمان – الأردن، ١٩٨٤
- مناهل العرفان في علوم القران ،عبد العظيم الزر قاني ، القاهرة مطبعة عيسى ألبابي الحلبي ، د.ط ، ١٩٨٠ م .
- موسيقى الشعر، د. إبراهيم أنيس، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ط٦، ١٩٨٨:
- موقف الإمام الشوكاني في تفسيره من المناسبات : د. احمد محمد الشرقاوي مكتبة جامعة الأزهر ، د.ت
- النبأ العظيم : محمد عبد الله دراز ،لبنان- بيروت ، دار القلم ، ٦ ،١٩٩٣ م.
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: للإمام برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي ، خرج أحاديثه ووضع حواشيه عبد الرزاق غالب المهدي، بيروت – لبنان ، دار الكتب العلمية ، ط٣، ٢٠٠٦ م.
- النظم الفني في القرآن : عبد العال الصعيدي ، مكتبة الآداب ، المطبعة النموذجية مصر ـ القاهرة و.ت،
- نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان إمعان في أقسام القران ، طبع بدار القلم بدمشق ـ ط١/ ١٩٩٤م.